جامعة إفريقيا العالمية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

مركز البحوث و الدراسات الإفريقية

المؤتمر الدولي الأول للسيرة النبوية

تحت رعاية:
النائب الأول لرئيس الجمهورية

تحت شعار:

(تنزيل مقاصد الشرع وتعميق محبة الرسول صلى الله عليه وسلم)

٢٩ - ٣٠ صفر ١٤٣٤هـ، الموافق: ١١ - ١٢ يناير ٢٠١٣م

الخرطوم – السودان

اللجنة العلمية

(الكتاب الرابع)

صفر ١٤٣٤هـ- يناير ٢٠١٣م

أعضاء اللجنة العلمية

١- د. حسن علي الشايقي رئيسا.
٢- د. إدريس علي الطيب عضوا.
٣- د. حسنات عوض ساتي عضوا.
٤- د. المرتضى الزين أحمد عضوا.
٥- د. محمود حمودة صالح عضوا.
٦- د. أمين محمد سعيد عضوا.
٧- أ. محمد نور عبد الله عضوا.
٨- أ. حسن أبوالقاسم أحمد عضوا.
٩- أ. المكاوي الخضر عضوا.

الإخراج الفني:

١- أ. طارق عبد الله عثمان مصطفى.
٢- أ. عبد الناصر علي بن علي الفكي.
٣- أ. أمير عبد الله الصافي.
٤- أ. عمر فتح العليم محمد.
٥- أ. السماني علي أحمد محمد

شارك في التدقيق اللغوي:

١- د. عبد الرافع حمد الأمين.
٢- أ. حسن سيد أحمد الناطق.
٣- أ. تاج السر بشير صالح.

المحتويات

م	الموضوع	الصفحة
١.	أعضاء اللجنة العلمية	ب
٢.	المحتويات	ج
٣.	مقدمة الكتاب	د
٤.	تقديم الكتاب بروفسور حسن مكي محمد أحمد	هـ
٥.	صورة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وسيرته بمواقع الإنترنت الإسرائيلية...عرض ونقد (د.أحمد البهنسي ـ مصر)	١
٦.	التربية في السيرة النبوية الشريفة مفهومها أغراضها أساليبها (د.عبد الله علي عبد الله جوان ـ ليبيا)	٣١
٧.	اعتبار المقاصد الشرعية والمآلات من خلال السيرة النبوية (د. المصطفى البكري الطيب الشيخ الهادي ـ السودان)	٦٩
٨.	دور الرسول صلى الله عليه وسلم في البناء الاجتماعي وأثره في البناء الحضاري من خلال الحديث النبوي الشريف (د. عبد القادر أحمد يونس ـ العراق)	١١٣
٩.	تربية الطفل المسلم بين الأصالة والمعاصرة (أ.د. حسني قنديل ـ مصر)	١٤٧
١٠.	وحيٌ من جهة بلاد العرب نبوّة :سول الإسلام في الكتاب المقدّس (أ.د. أحمد الشيخ الوالي ـ السُّودان)	١٧٣
١١.	جهود المنصفين من المستشرقين (وأعلام كبار غير مسلمين) في الإشادة برسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته (أ.د. مهدي رزق الله أحمد- السُّودان)	٢٠٣
١٢.	نزول الوحي ومشاعر التآلف مع الملائكة ودور السيدة خديجة رضي الله عنها (أ. توري محمد ـ النيجر)	٢٦٧

مقدمة الكتاب:

تستمد بحوث هذا المجلد وأوراقه أهميتها من أهمية السيرة النبوية الشريفة التي جاءت بالهدي القويم في كل مجالات الحياة، والشكر واجب لأصحاب الفضيلة الأساتذة الذين أسهموا ببحوثهم إسهاماً مقدراً، وناقشوا العديد من الموضوعات الحيوية والعلمية المهمة من خلال السيرة النبوية الشريفة، واستخلصوا من رواياتها وأخبارها النتائج والدروس والعبر التي نأمل أن تسهم في تنمية المجتمع والارتقاء به ثقافياً واجتماعياً وروحياً.

يحوي هذا الكتاب ثمانية بحوث، شملت المحاور السبعة للمؤتمر وهي: (الرسالة والنبوة)، (محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أساس الإيمان)، (فقه السيرة وتنزيل الأحكام في الواقع)، (هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع المرأة مقارنةً مع أوضاع المرأة في الغرب اليوم)، (هديه صلى الله عليه وآله وسلم في التعامل مع غير المسلمين)، (موقف الغرب من رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم)، (جهود المسلمين في العصر الحاضر في خدمة السيرة النبوية).

ربما تمثل هذه البحوث فهرساً لمكتبة شاملة للسيرة النبوية وتنزيلها على مقاصد الشرع، وقد وجدت هذه المحاور استجابة واسعة وكبيرة من الباحثين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي وغيره، مما يؤكد تعلق المسلمين بالسيرة النبوية وتجاوبهم معها وتأكيد محبتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

والله من وراء القصد ،،،

اللجنة العلمية للمؤتمر

حب الرسول صلى الله عليه وسلم، كامن ومستحكم في القلوب، وهذا المؤتمر سعي مبارك لتفعيل هذا الحب وتوظيفه وتنزيله في خدمة مقاصد الدين. وحب الرسول صلى الله عليه وسلم طاقة متحركة في نفوس أبناء الأمة، انظر كيف يحرك الحب المشاعر والأفئدة ويجعلها في الحج تسير عشرات الأميال ذهاباً وإياباً دون كلل أو ملل وفيهم الكهل والصغير والمريض.

وانظر إلي المسابح وهى تسبح بحمد الله والصلاة على رسوله في شهادة دائمة على رفع الذكر، وكيف لا يرتفع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وقدره وارتبط اسمه باسم المولى عز وجل في الشهادة التى لا شهادة بعدها ولا شهادة بقدرها، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وما أحسن خدمة السيرة والحديث والمنهج النبوي بالتبيان والتوضيح والتنزيل في خدمة مقاصد الشريعة.. واستخراج كنوز السيرة في أدب العهود والإختلاف والاتفاق وكل مقاصد الحياة. إن محبة الرسول صلي الله عليه وسلم لا تكتمل إلا بالفهم والاستيعاب والهضم وإعادة انتاجها كمنهاج حياة ومرجعية ومعالم طريق. إن الخروج من حالة الإفلاس والانفلات والتيه والحيرة التى تمر بها البشرية لا يتم إلا بمعرفة محمد صلى الله عليه وسلم ولا تتم معرفة محمد صلى الله عليه وسلم إلا بإقتفاء أثره وعرض هذا الأثر في إطار تجارب الحداثة والمعاصرة. والحداثة والمعاصرة دون محمد صلى الله عليه وسلم حُجُبٌ ومتاع دنيا زائل ولكن المعاصرة والحداثة في إطار المرجعية المحمدية كما أوضحتها السيرة تجعل للحياة معنى وطعماً وغاية وهدىً.

ودراسة السيرة باعتبارها مبين ومكمل للوحى هو مطلب إنسان ما بعد الحداثة والثورة العلمية والمعلوماتية ويحتاج إنسان ما بعد الحداثة إلى أن نقدم له السيرة والحديث وحياة الرسول الكريم في قالب عصري وعقلي وبمختلف الألسن واللغات وهذا مقصد كبير لا يستوعبه مؤتمر أو جماعة ولكن مساهمة المؤتمر أو الجماعة أمر مبارك وسعى قاصد

وفي إطار هذا السعى القاصد تجيئ هذه الكلمات ونرجو أن يكون هذا المؤتمر فاتحة خير في مشروع تعميق المحبة وتنزيل مقاصد الدين.

بروفيسور/ حسن مكي محمد أحمد

مدير جامعة إفريقيا العالمية

نزول الوحي، ومشاعر التآلف مع الملائكة

ودور السيدة خديجة رضي الله عنها

(المحور الأول: النبوة والرسالة)

إعـــداد

أ. توري محمد

المحاضر - الجامعة الإسلامية - النيجر

نزول الوحي ومشاعر التآلف مع الملائكة ودور السيدة خديجة رضي الله عنها

أ.توري محمد (*)

الاستهلال:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"(١).

التوطئة:

إنّ مبحث نزول الوحي من أهمّ مباحث علوم القرآن الكريم؛ لأن العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن نفسه، وإنه كلام الله، وأساس للتصديق بنبوة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم وإن الإسلام حق، فبثبوت إلاهية القرآن الكريم يبطل القول ببشريّته، الذي طالما كرّس أعداء الإسلام جهودا متراكمة من أجله وبمختلف الوسائل والاستراتيجيات، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كرهوا.

ولأهمية هذا المبحث وخطورته حظي بعناية العلماء والجهابذة، فتناولوه في مختلف مصادر هذا الدين، ابتداء بالقرآن نفسه، فقد تناولت مجموعة من الآيات

(*) محاضر السيرة النبوية - الجامعة الإسلامية - بالنيجر.

(١) صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري/ تحقيق د. مصطفى ديب البغاء/ دار ابن كثير – اليمامة، بيروت/ ط٣/ ٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م/ ج١١/ ص١٥٨.

القرآنية ظاهرة الوحي، وتطرق المفسرون قديما وحديثا لمعالجتها وتحليلها، كما نقلت إلينا نصوص كثيرة في مظان سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ومصادرها المعتبرة، في وصف هذه الظاهرة وتثبيتها، مما أكدتها كتب السيرة وعلوم القرآن.

بدأ نزول الوحي على رسول الله -صلى الله علي وسلم- في شر رمضان المبارك، سنة ١٣ قبل هجرة المصطفى-صلى الله علي وسلم- الموافق لشهر يوليو سنة ٦١٠ من ميلاد المسيح عليه السّلام، وأن عمره إذ ذاك أربعون سنة، واستمر نزول الوحي عليه ٢٣ عاما حتّى لقي ربه في يوم الأثنين الثاني عشر من ربيع الأوّل سنة ١١هـ، الموافق شهر يونيو سنة ٦٣٣م، وان عمر إذاك ٦٣ عاما[١].

إن ما يعيشه المسلمون اليوم من تداعيات عليهم، وعلى الدين الإسلامي الحنيف، ومن المحاولات التي تهدف إلى تشكيكهم في مصادر دينهم وقطع الصّلة بينهم وبين ربّهم سبحانه؛ علاوة على غفلة الكثير منهم عن حقيقة دينهم، يجعلهم يلتفتون إلى دراسات جادة، وبحوث علمية من شأنه أن يسهم في إنارة الطريق، ودحض كل شبهة قد تضرّ بهم، أو تسيء إلى دينهم ومصادرهم التي يأتي القرآن الكريم في صدارتها، ويأتي المؤتمر الدّولي الأوّل للسيرة النبوية الشريفة معالجا لهذه الغفلة، ورادّا على تلك الطروحات.

ويأتي موضوع: "نزول الوحي ومشاعر التآلف مع الملائكة، ودور السيدة خديجة رضي الله عنها" ليشارك في تحقيق أهداف المؤتمر الدولي، ومضافا إلى الحقل المعرفي والتراث الإسلامي.

ولقد قسمته إلى توطئة، وأربعة محاور، وخاتمة، بالتفاصيل الآتية:

تحدثت عن أهمية الموضوع وربطها بحاجة المسلمين إلى مثله في التوطئة، وعنونت المحور الأوّل بمدلول كلمة "الوحي" في المصادر العربية والشّرعيّة:

---

(١) ينظر: د.علوم القرآن والتفسير/ عبد الله شحاته/ دار الاعتصام / القاهرة/ ط٢/ ١٩٨٣م/ ص١٦.

مقسّما إياه إلى ثلاثة أقسام الأول في: مدلول كلمة "الوحي" في المصادر العربية: والثاني في: مدلول كلمة "الوحي" في المصادر الشّرعيّة: والثالث في: مناقشة التعاريف. أما المحور الثاني فقد خصصته لنزول الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلّم وتنزلاته، وقسمته كذل إلى ثلاثة أقسام الأول في: معنى نزول القرآن الكريم وتنزلاته، والثاني في: تنزّلات القرآن الكريم ومراحلها، والثالث في: حالات المصطفى-ﷺ- ومشاعر تآلفه مع جبريل عليه السلام. و ناقشت ظاهرة الوحي في تفسير بعض المستشرقين في المحور الثالث، وتحدثت فيه كذلك عن دور أم المؤمنين خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها- آن نزول الوحي.

هذا والله أسأل أن ينفع بهذا الجهد المتواضع الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه آمين.

المحور الأوّل: مدلول كلمة "الوحي" في المصادر العربية والشّرعيّة:

أولاً: مدلول كلمة "الوحي" في المصادر العربية:

بتصفّح القواميس والمعاجم العربية نجد أن أصل "الوحي" في الأسلوب العربي، يدلّ على: الخفاء، والسرعة، والإشارة(١).

الواو والحاء والحرف المعتل أصل يدل على إلقاء علم في خفاء إلى غيرك، فكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه، فهو وحي كيف كان، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب، وبإشارة بعض الجوارح، وبالكتابة، والرسالة والإلهام(٢).

---

(١) ينظر: لسان العرب/ ابن منظور/ دار صادر- بيروت/ م١٥/ فصل الواو/ مادة "وحي"/ ص٣٧٩. و: تاج العروس من جواهر القاموس/ مرتضى الزبيدي/ تح: علي شيري/ دار الفكر- بيروت- لبنان/ د.ط/ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م/ م٢٠/ مادة "وحى"/ ص٢٧٩. و: المصباح المنير/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري/ طبعة بلونين ميسرة/ مكتبة لبنان/ ص ٢٤٩.

(٢) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن/ الأصفهاني/ ص٥٨٦ - ٥٨٨

وأوحى ووحى لغتان، يقال: وحيت إليه الكلام، وأوحيت، ووحى، وحياً وأوحى. لكن أوحى بالهمزة أفصح من - وحى - بدونها. ولذلك جرى استعمال القرآن على ما هو الأفصح فى الفعلين.

وقد استعمل القرآن الكريم الوحي بمعناه اللغوي، وهو: الإعلام الخفي السريع، ويتناول الوحي بهذا المعنى عدة أنواع كما جاءت في القرآن الكريم نجمل أهمّها فيما يأتي:

١- الإشارة السريعة على سبيل الرمز، كما في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[١]. وجاء تفسير هذه الوسيلة التي استخدمها نبيّ الله زكريّا وسمّاها الله سبحانه وتعالى وحياً في قوله تعالى: ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً﴾[٢].

٢- الإلهام الغريزي للإنسان[٣]، ومنه ما يطلق عليه إلهام الخواطر، وهو ما يلقيه الله تعالى في روع الإنسان السليم الفطرة، الطاهر الروح، كما في قوله تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾[١].

---

(١) سورة مريم: الآية: ١١.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٤١.

(٣) اشتهر لدى الكثيرين أن الوحي إلى أم موسى عليهما السلام الوارد في قوله تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين} آية ٧٠ من سورة القصص، هو من هذا القبيل - أعنى الإلهام. أي من قبيل الحقيقة اللغوية. وعللوا قولهم هذا، بأنه لو قلنا إن الوحي إليها كان من قبيل الحقيقة الشرعية - أي كان بواسطة ملك - يلزم عليه أن تكون نبياً. والمقطوع به أنها لم تكن كذلك. والحق: أن هذا الكلام خلاف التحقيق حسبما صرح بذلك الإمام القرطبي في تفسيره ١٣/٢٥٠، والشيخ أبو حيان في تفسيره ٧/١٠٥ ــ ١٠٨، وحجتهم في ذلك، أن ما جاء في الآية من الأمر بالإلقاء والوعد بأنه سيرجع إليها وسيكون من المرسلين، لا يأتي ذلك من قبل الإلهام، كما أنه لا

٣- الإلهام الغريزي للحيوان أو ما يطلق عليه بعض العلماء الأمر الكوني كالوحي إلى النحل، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون﴾(٢). ومما يشير إلى هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين، فقضاهنّ سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها﴾(٣). ويدخل تحت ذلك كل الأوامر الكونية للجمادات وغيرها.

٤- وسوسة الشياطين، كما في قوله تعالى :﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾(٤).

٥- ما يلقيه الله إلى الملائكة من أمره ليفعلوه من فورهم، قال تعالى:﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا..﴾(٥).

وهذه الأقسام كلها ليست هي المرادة من اصطلاح الوحي في علوم القرآن والسُّنة.

ثانياً: مدلول كلمة "الوحي" في المصادر الشّرعيّة:

عرف الوحي في لسان الشرع بتعاريف نذكر منها ما يلي:

يلزم من إرسال الملك إلى أحد، ضرورة كونه نبيا، فقد جاء الملك إلى السيدة مريم، وإلى الأقرع، والأبرص، والأعمى، وقصتهم في الصحاح، ولم يقل أحد بنبوة هؤلاء، وفوق ذلك كله، فإن الأغلبين على أن النبي لا يكون إلا ذكراً قال تعالى :{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم} آية ٤٣ من سورة النحل، وعليه يمكن القول بأن الوحي إليها لم يكن إلهاما، وإنما كان بواسطة ملك.

(١) سورة المائدة: الآية: ١١١.

(٢) سورة النحل: الآية (٦٨).

(٣) سورة فصلت الآيتان ١١، ١٢.

(٤) سورة الأنعام الآية ١٢١.

(٥) سورة الأنفال: الآية ١٢.

[١] "أن يُعلِمَ الله تعالى مَن اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر".

[٢] "كلام الله تعالى المنزل على نبي من أنبيائه الموحى إليه".

[٣] "عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت".

[٤] "هو حلول روح الله في روح الكتاب الملهمين لإطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية، من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئا من شخصياتهم، فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير"(١).

ثالثا: مناقشة التعاريف:

بالنظر في هذه التعريفات نلاحظ أنها جاءت متنوعة تبعاً لتنوع الاعتبارات، فمن نظر إلى المعنى المصدري عرفه بأنه "الإعلام بالشرع"(٢)، ومن نظر إلى الموحى به أي بمعنى اسم المفعول، عرفه كما في التعريف الثاني، ومن نظر إلى المعنى الحاصل بالمصدر، عرفه بما جاء في التعريف الثالث وهو تعريف الأستاذ الإمام محمد عبده، والتعريف الأخير من القاموس"٣" أضحى أبعد ما يكون عن الصعيد الديني المتصل بالله، الآخذ عن الله، وأقرب ما يكون إلى مدلول الكشف الذي

---

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزرقاني/ دار إحياء الكتب العربية/ د.ط/ د.ت/ د.د/ج١/ ص٥٦. و:مناع القطان/ مباحث في علوم القرآن/ مؤسسة الرسالة/ ط٢١/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م/ ص٣٣.

(٢) قاله ابن حجر العسقلاني في: فتح الباري شرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ دار المعرفة/ ج١/ ص٨.

(٣) هو القاموس الذي وضعه بالعربية الدكتور جورج يوسف وطبع في المطبعة الأبركية -بيروت سنة١٨٩٤م.

عرفت البشرية ألوانا صافية منه لدى الشعراء الملهمين والمتصوفين العارفين، وقد يكون ألوانا عَكِرَة كدرة من الكهان والعرافين، وأكثرهم من الدجاجلة الكذابين. إذا فهو يختلف اختلافا جوهريا عن التفسير الجامع المانع للوحي الشّرعي. والتعريف الثاني لا يلمس من الهدف الذي من أجله يوحي الله سبحانه إلى الرسل وهو الهداية، وإن كلمة "الشخص" في التعريف الثالث تجعله مرفوضا إذ لا تليق بأنبياء الله ورسله وهم الموحى إليهم.

التعريف المختار:

يمكن اختيار التعريف الأوّل، لتواقر شروط التعريف فيه(١)، ويقول هذا **التعريف:**

الوحي: "أن يُعلِمَ الله تعالى مَن اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر".

هذا، ويفرق بين الوحي والإلهام بأن الأخير: وجدان تستيقنه النفس فتنساق إلى ما يطلب على غير شعور منها من أين أتى؟ فهو أشبه بوجدان الجوع والعطش والحزن والسرور.

المحور الثاني: نزول الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم وتنزلاته:

أولاً: معنى نزول القرآن الكريم وتنزلاته:

جاء التعبير بمادة نزول القرآن، وما تصرّف منها في الكتاب والسنة، ومن أمثلته: قوله سبحانه ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾(٢). وقوله ﷺ: "فإنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف"(١).

(١) ينظر شروط التعريف في كتب المنطق مثل: المنطق/ محمد رضا/ منشورات إسماعيليان/ ط٢٠/ ١٩٨٤م/ ج١/ ص٩٥ وما بعدها.

(٢) الآية ١٠٥ من سورة الإسراء.

والنزول في استعمال اللغة، يطلق ويراد به:

- الجلوس في مكان والأويّ به، مثل نزل الأمير المدينة.
- انحدار الشيء من علو إلى سفل، نحو نزل فلان من الجبل، ونحو قوله تعالى:﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾(٢).

ولا شك في أن كلا هذين المعنيين لا يليق إيراده هنا في إنزال الله للقرآن، ولا في نزول القرآن من الله حيث يلزم منه المكانية والجسمية والقرآن ليس جسماً حتى يحلّ في مكان أو ينحدر من علوّ إلى سفل؛ ولذلك فإننا بحاجة إلى التّجوّز، والمجاز بابه واسع وميدانه فسيح رحب، وليكن إذا المعنى المجازي لإنزال القرآن هو الإعلام في جميع إطلاقاته أي الإعلام به بواسطة ما يدل عليه من النقوش بالنسبة لإنزاله في اللوح المحفوظ وفي بيت العزة من السماء الدنيا.

وبواسطة ما يدلّ عليه من الألفاظ الحقيقية بالنّسبة لإنزاله على قلب النّبي ﷺ والعلاقة بين المعنى الحقيقيّ والمعنى المجازيّ هو اللّزوم؛ لأنّ إنزال الشّيء إلى الشيء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشيء به إن كان عاقلا، ويستلزم إعلام من يطلع عليه من الخلق مطلقا، وإذن فالمجاز مرسل. ونزول جبريل عليه السلام بالقرآن على سبيل التدرج والتنجيم هو التنزيل، فالتنزيل لما نزل مفرقا والإنزال أعم.

ثانياً: تنزّلات القرآن الكريم ومراحلها:

للعلماء رأيان –تقريبا- في مسألة التنزلات، رأي يميل إلى أنها تنزّلان، والآخر يقول: ثلاثة تنزلات، وهو –والله أعلم- الأقرب إلى الصواب.

---

(١) الجامع الصحيح سنن الترمذي/ محمد بن عيسى الترمذي/ موقع وزارة الأوقاف المصرية/ ج١١/ ص١٥٨. الشاملة.

(٢) الآية ٢٢ من سورة البقرة.

قال الزرقاني: شرف الله هذا القرآن بأن جعل له ثلاثة تنزلات[١]:

[١] التنزل الأول: إلى اللوح المحفوظ، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ [٢].وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله تعالى، ومن أطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرقاً؛ لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق، ولا صارف عنه، ولأن الله تعالى أراد تنجيم القرآن على النبي-ﷺ- ولا يعقل تحققها في هذا التنزل. وحكمة هذا التنزل ترجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح نفسه وإقامته سجلاً جامعاً لكل ما قضى الله وقدر وكل ما كان وما يكون من عوامل الإيجاد والتكوين.

[٢] التنزل الثاني للقرآن:[٣] كان إلى بيت العزّة في السماء الدنيا، والدليل عليه قوله سبحانه في سورة الدخان: ﴿حم، والكتاب المبين، إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين﴾ [٤]، وفي سورة القدر: ﴿إنّا أنزلناه في ليلة القدر﴾ [٥]. وفي سورة البقرة: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للنّاس وبيّنات من الهدى والفرقان﴾ [٦].

---

١ - ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزرقاني/ ص ٧٠.

٢ - الآية ٢١ – ٢٢ من سورة البروج.

٣ - ينظر: محمد عبد الله الزركشي/ البرهان في علوم القرآن/ تح: أبو الفضل إبراهيم/ منشورات المكتبة العصرية/ صيدا بيروت/ ج/ ص٢٢٩. و: د: محمد إبراهيم الخفاوي/ دراسات في القرآن الكريم/ دار الحديث القاهرة/ ص٤٧٣-٤٨٠. و: صبحي صالح/ مباحث في علوم القرآن/ دار العلم للملايين/ ط٢٠/ ١٩٩٧م/ ص٥٠ وما بعدها.

٤ -الآية :١-٣ من سورة الدخان.

٥ - الآية ١ من سورة القدر.

٦ - الآية ١٨٥من سورة البقرة.

دلت هذه الآيات الثلاثة الكريمات على أن القرآن أنزل في ليلة واحدة توصف من آية الدخان بأنها مباركة، وتسمى بآية القدر ليلة القدر، وهي من ليالي شهر رمضان، أخذا من آية البقرة.

ومن الروايات التي تعضد ذلك:

- ما أخرجه النسائي بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال:" فضل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبيﷺ يرتله ترتيلا "(١).
- ما أخرجه البيهقيّ وغيره من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال:" أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة"(٢).

وهناك قول ثان بنزول القرآن إلى السماء الدنيا في عشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة قدر ينزل في كل ليلة قدر منها ما يقدّر الله إنزاله في كل السنة ثم ينزل بعد ذلك منجما في جميع السنة على النبيﷺ.

وقول ثالث: أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الأزمان على النبيﷺ.

وذكر قول رابع: هو أنه نزل من اللوح المحفوظ جملة واحدة وأن الحفظة نجمته على جبريل في عشرين ليلة وأن جبريل نجمه على النبيﷺ في عشرين سنة.

ولكن هذه الأقوال الثلاثة الأخيرة بمعزل عن التحقيق وهي محجوجة بالأدلة التي ذكرت.

---

(١) السنن الكبرى/ أحمد بن شعيب النسائي/ تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البداري/ دار الكتب العلمية- بيروت/ ط١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م/ ج٥/ ص٧.

(٢) شعب الإيمان/ البيهقي/ تحقيق: محمد السعيد بسيوي زغلول/ دار الكتب العلمية- بيروت/ ط١/ ١٤١٠/ ج٢/ ص٤١٥.

ويمكن تلخيص حكمة هذا التنزل –كما ذكر السيوطي- أنها تفخيم أمر القرآن الكريم وأمر من نزل عليه، بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل لأشرف الأمم، وبإنزاله مرتين مرة جملة ومرة مفرقا بخلاف الكتب السابقة فقد كانت تنزل جملة مرة واحدة(١).

[٣] التنزل الثالث: قال الله تعالى: ﴿وإنّه لتنزيل ربّ العالمين، نزل به الرّوح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربيّ مبين﴾(٢). وقال عز وجلّ:﴿قل نزّله روح القدس من ربّك بالحق ليثبّت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾(٣). وقال تعالى أيضا: ﴿قل من كان عدوّا لجبريل فإنّه نزّله على قلبك بإذن الله مصدّقا لما بن يديه﴾(٤).

فهذه الآيات وغيرها ناطقة بأن القرآن الكريم كلام الله بألفاظه العربية، وأن جبريل نزل به على قلب رسول الله - ﷺ -، كما يدل على ذلك لفظ التنزيل دون الإنزال، لأن الأول يراد به النزول على سبيل التدرج والتنجيم فالتنزيل لما نزل مفرقا والإنزال أعم.

وقد نزل القرآن الكريم منجما في ثلاث وعشرين سنة، منها ثلاث عشرة سنة بمكة على الراجح وعشر سنوات بالمدينة، وقد جاء التصريح بنزوله مفرقا في قوله تعالى: ﴿وقُرآناً فرقْناه لتقرأهُ على
النّاس على مُكْثٍ ونزّلناه تنزيلاً﴾(٥).

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن/ دار الكتب العلمية- بيروت لبنان/ ط٢/ ١٤١١هـ-١٩٩١م/ ج١/ ص٨٩.

(٢) الآية ١٩٢ ــ ١٩٥من سورة الشعراء.

(٣) سورة النحل: الآية ١٠٢.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٧.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٦.

ويمكن أن نستخلص حكمة نزول القرآن الكريم منجما من النصوص الواردة في ذلك فيما يأتي:

١- تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى: ﴿كذلك لنثبّت به فؤادك ورتّلناه ترتيلا﴾[١].

ولذلك قال أبو شامة الشافعي أن الله تعالى تولى الإجابة عن لماذا أو ما السر في نزول القرآن منجما؟.

٢- التحدي والإعجاز: حيث كان المشركون والكفار يسألون أسئلة تعجيزية فيتحداهم القرآن إثباتا لإعجازه.

٣- تيسير حفظه وفهمه: حيث نزل القرآن الكريم على أمة أمية لا تعرف القراءة ولا الكتابة، ﴿هو الذي بعث في الأميّين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة﴾[٢].

٤- مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع: بدأ بأحوال الإيمان بالله تعالى وملائكته...

٥- الدلالة على أن القرآن تنزيل من حكيم حميد.

نتلوا في القرآن الكريم آية جمعت صور[٣] الوحي الذي يوحيه الله تعالى على أنبيائه ورسله بشكل عام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾[٤].

نلاحظ في هذه الآية الكريمة أن للوحي صوراً خاصة تختلف في نظر القرآن عما قد يشبهها من مظاهر الخفاء والسرعة في ألفاظ الإعلام المستعملة قديما وحديثا، وقد أشارت الآية [١] إلى صور ثلاث من صور الوحي:

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٢.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٣) هي صور، أو مراتب، أو أنواع، أو أقسام ... حسب ورودها في المصادر.

(٤) الآية ٥١ من سورة الشورى.

إحداها: إلقاء المعنى في قلب النبي أو نفثه في روعه.

الثانية: تكلم النبي من وراء حجاب.

الثالثة: بواسطة ملك الوحي.

قال ابن القيم في مراتب الوحي[٢]:

إحداها: الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه - صلى الله عليه وسلم -وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

الثانية: ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم –" إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته"[٣].

الثالثة: أنه - صلى الله عليه وسلم -كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا.

الرابعة: أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

الخامسة: أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في الآية٧-١٣ من سورة النجم.

---

(١) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ محمود الألوسي البغدادي/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م/ ج٢٥/ ص٧٦.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد/ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي/ تح: شعيب الأرناؤوط وآخر/ مؤسسة الرسالة –بيروت/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م/ ج١/ ص٧٨ وما بعدها.

(٣) شعب الإيمان/ البيهقي/ تح: محمد السعيد/ مرجع سبق ذكره/ ج٢/ ص٦٧.

السادسة: ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها.
السابعة: كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى ابن عمران، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن وثبوتها لنبينا - صلى الله عليه وسلم - هو في حديث الإسراء.

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة: وهي تكليم الله له كفاحا من غير حجاب وهذا على مذهب من يقول إنه - صلى الله عليه وسلم -رأى ربه تبارك وتعالى وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف(١).

كما نستنتج من الآية الكريمة أنّ الله تعالى يوحي إلى رسله بواسطة وبغير واسطة:

فالأول: بواسطة جبريل –عليه السلام-. وهذا ما ذكره المفسّرون في المراد بالرّسول المرسل في آية الشورى الكريمة وأنه جبريل عليه السّلام(٢)، وإن فسّره بعضهم بالنبي(٣).

والثاني: وهو الذي لا واسطة فيه وهو نوعان:

---

(١) ينظر: زاد المعاد/ المرجع السابق/ ص٥٨.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ البيضاوي/ دار الفكر- بيروت/ ج٥/ ص١٣٧، وتفسير القرآن العظيم/ إسماعيل ابن كثير/ دار المعرفة- بيروت-لبنان/ ط٦/ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م/ ج٤ / ص١٣١ . والجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان/ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي/ تح: سالم مصطفى البدري/ دار الكتب العلمية- بيروت لبنان/ ط ١/ ١٤٢٠-٢٠٠٠م/ م٨/ ج١٦ / ص٣٥ وما بعدها.

(٣) كما قاله الزمخشري، ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي/ دار الكتاب العربي –بيروت لبنان/ ط٣/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/ ج٤ /ص٥١.

أ- الرؤيا الصالحة في المنام كما رواها عائشة –رضي الله عنها- قالت: "أول ما بدئ به ﷺ الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح"(١).

وقد كان ذلك تمهيداً وتهيئة لرسول الله ﷺ حتى ينزل عليه الوحي يقظة، وليس في القرآن شيء من هذا النوع لأن القرآن نزل جميعه يقظة.

ومما يدل على أن الرؤية الصالحة للأنبياء في المنام وحي يجب إتباعه ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام من رؤيا ذبحه لولده إسماعيل على الصواب: ﴿فبشّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ، فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قال يابنيّ إنِّي أرَى فِي المَنَامِ أنِّي أذْبحك فَانْظُرْ مَاذَا ترى قال يا أَبَت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصّابرين﴾(٢).

والرؤيا الصالحة ليست خاصة بالرسول فهي باقية للمؤمنين وإن لم تكن وحيا كما قال عليه الصلاة والسلام:"انقطع الوحي وبقيت المبشرات، رؤيا المؤمن"(٣).

ب- الكلام الإلهي من وراء حجاب بدون واسطة يقظة.

وهذا النوع ثابت لموسى -عليه السلام-، ما سبق في كلام ابن القيم –رحمه الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾(٤)، وكما ثبت التكلم على الأصح لرسولنا - ﷺ - ليلة الإسراء والمعراج.

---

(١) صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري/ دار الفكر/ د.ط/ ١٤٠١هـ-١٩٨١م/ م١/ ص٢ وما بعدها.

(٢) الآية ١٠١ – ١٠٢ من سورة الصافات.

(٣) سنن الترمذي، الجامع الصحيح/ محمد بن عيسى الترمذي/ تح: أحمد محمد شاكر وآخرون/ دار إحياء التراث العربي –بيروت/ د.ط/ د.ت/ باب: كيف كان ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم/ ج٩/ ص٢٥.

(٤) الآية ١٦٤من سورة النساء.

المحور الثالث: حالات المصطفى- ﷺ - ومشاعر تآلفه مع جبريل عليه السلام:

عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: "أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه - وهو التعبد - الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال: (ما أنا بقارىء). قال : (فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم... ﴾. فرجع بها رسول الله صلى الله عليه و سلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: (زملوني زملوني). فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسي). فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم خبر ما رأى، فقاله له ورقة هذا الناموس الذي نزله الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (أو مخرجي هم)؟. قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي"[1].

---

(١) صحيح البخاري/ ج٤/ ص ١٨٩٤. الشاملة.

وعنها أيضا – رضي الله عنها- أن الحارث بن هشام: سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا ويكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم ينزل عليه الوحي في اليوم ذي البرد الشديد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا"(١).

لما تكامل للنبي - صلى الله عليه وسلم - أربعون سنة بدأت آثار النبوة بالرؤيا الصالحة، فكان عليه الصلاة والسلام لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح، حتى مضت على ذلك ستة أشهر، ومدة النبوة ثلاث وعشرون سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة، ولما كان رمضان من السنة الثالثة من عزلته عليه الصلاة والسلام بحراء أكرمه الله تعالى بالنبوة، وأنزل إليه جبريل بآيات من القرآن.

إذ كيف كانت تتم عملية التعليم والتعلم بين الرسول -ﷺ- وجبريل عليه السلام، وكيف كان إحساسه -ﷺ- ومشاعره لحظات التقائه بجبريل عليه السلام؟

على الرّغم من الدراسات الكثيرة التي حاولت تفسير مشاعر الرّسول -عليه الصلاة والسلام- مع ملك الوحي جبريل عليه السلام(٢)، فإن أصحاب الاتجاه الديني منهم لم يقولوا أبدا بعدم إمكانية إيجاد جوّ اتحاديّ يمكن للرسول عبره أن يتلقى معلومات الوحي من جبريل عليه السلام.

وإنّ النصوص الثابتة التي وصفت حالات المصطفى-ﷺ- مع جبريل –عليه السلام- وقت نزول الوحي، مثل حديثي أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها- توحي إلى "مدى التباعد الرئيسي البين في الحوار بين الذات المتكلمة الآمرة الحازمة،

(١) سنن الترمذي، الجامع الصحيح/ محمد بن عيسى الترمذي/ تح: أحمد محمد شاكر وآخرون / مرجع سبق ذكره/ باب: كيف كان ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم/ ج٥/ ص٥٩٧.

(٢) ينظر: النبأ العظيم/ د. محمد عبد الله دراز/ دار القلم كويت/ ط٥/ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م/ ص٧٠.

والذات المخاطبة المضطربة المجفلة"[1]؛ ولذلك كان من الطبيعي أن تتغير أحواله -ﷺ- من احتقان الوجه، وثقل الفخذ، وكثرة عرق الجبين في اليوم الشديد البرد، وما إلى غير ذلك، ومع كل ذلك فإن النبي-ﷺ- كان يعي كل ما يقوله جبريل عليه السلام. قال صاحب الظاهرة القرآنية:" فإذا نظرنا إلى حالة النبي، وجدنا أن الوجه...يحتقن، بينما يتمتع..بحالة عادية، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجهة النفسية، بحيث يستخدم ذاكرته استخداما كاملا خلال الأزمنة نفسها"[2].

ونلاحظ أنه في بداية لقاء النبي-ﷺ- مع الملك جبريل عليه السلام في غار حراء، شعر بالخوف، وارتجف فؤاده لما رآه مما لم يألفه من قبل، وقد تحدث المفسرون مبررين لهذه المشاعر وأنّها طبيعية، ولذلك بعد تآلفه عليه الصلاة والسلام مع الملك، أصبح وكأنه زميله، بل كان يشتاق إلى رؤيته، وقصة الإسراء والمعراج بصحبة الملك جبريل عليه السلام معروفة ومشهورة.

مناقشة ظاهرة الوحي في تفسير بعض المستشرقين، ودور أم المؤمنين خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- في ظاهرة الوحي:

أوّلاً: مناقشة ظاهرة الوحي في تفسير بعض المستشرقين:

ذهب المستشرقون مذاهب شتى في تفسير الوحي المنزل على النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكنهم أجمعوا على إنكاره، وأتوا بتفسيرات، وتعليلات، وتأويلات حاولوا من خلالها تفسير التصرّفات التي تنتاب الرسول -صلى الله عليه وسلم- إبان نزول الوحي عليه، على أن إنكارهم للوحي قادهم بداهة إلى إنكار المصدر الإلهي للقرآن الكريم، الذي أجمعوا أيضا على بشريته كما أسلفنا في التوطئة.

---

(١) الظاهرة القرآنية/ مالك بن نبي/ تر: عبد الصبور شاهين/ الإتحاد العالمي للمنظمات الطلابية/ ط٣/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م/ ص١٩٤ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق/ ص ١٨٢.

يرى المفكر الفرنسي "جوستاف لوبون le bon" أن التصرفات التي تعتري الرسول إبان نزول الوحي عليه ما هي إلاّ إصابته بالصرع الذي ينتابه في هذه اللحظات فيعتريه احتقان فغطيط فغثيان.

ويذهب المستعرب الألماني "هوبرت جريم h. grimme" إلى أن ما قاد الرسول إلى تقول الوحي اقتناعه صلى الله عليه وسلم بضرورة إصلاح مجتمعه في مكة.

أما المستشرق الانجليزي "مونتجمري وات m. watt" فإنه يرجع استيعاب النبي صلى الله علي وسلم للوحي إلى الموهبة، وانّه مثل بعض الأشخاص الموهوبين كالفنانين، والشعراء، والكتاب ممن يتمتعون ب"خيال خلاق" أخرجوا للبشرية روايات رائعة، وشعرا بليغا، ورسومات ومنحوتات عجيبة(١).

ويزعم المستشرقون أن الوحي إنما هو استشعار داخلي ولكنه صادق، فهم لا يشككون بصدق شعور النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة، ولكنهم يظنون إنما هو استشعار داخلي وقناعة ذاتية دون أن يكون هناك شيء خارجي اسمه الوحي، وأن كلمة "الوحي" لا تعني تلقي النص من الله سبحانه وتعالى بل تعني اقتراحاً أو إشارة suggestion أو تكلم ذهني intellectual locution.

ويزعمون أن كلمة "وحي" حصرت بين فاصلتين معقوفتين قبلها ومثلها بعدها أي ركّنت. وهذه سنة متبعة في كتابات من يشككون في الوحي ممن ذكرنا آنفا يقصد بها التشكيك فيما بين الفواصل وتأكيده دون سواه في السياق الذي يرد فيه.

ويخرج وات بهذه النتيجة من خلال تأثره بأقوال سابقيه وبفهمهم الخاطئ لمعنى كلمة وحي، فهم يقصرون معناه على حديث النفس للنفس ويزعمون بأن مصدره هو

(١) ينظر: الظاهرة الاستشراقية وأثرا على الدراسات الإسلامية/ د. ساسي الحاج/ مركز دراسات العالم الإسلامي/ ط١/ ١٩٩١م/ ج٢/ ص٣٥٣ وما بعدا.

"اللاوعي الجماعي، الذي هو مصدر كل وحي ديني"، وعملاً بمنهجهم في اختلاق النتائج ولي أعناق الوقائع التاريخية وتقطيع أوصالها.

كما يقول وات أيضاً: إن عدم ذكر اسم الملك يشكك في رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم له! ثم بعد ذلك يناقش باستفاضة أن كلمة "أوحى" تعني "اقترح"، ويستقرئ الروايات الإسلامية في ضوء هذا الزعم.

وإذا كان وات يرى هذا فما باله بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾[3]، فهل كلمة أنزل تعني اقترح أيضا؟

وماذا سيقول وات وغيره من المستشرقين في مصدر الوحي ونزول القرآن وآيات الإعجاز التي تشهد يوما بعد يوم أن القرآن ليس من عند رسول أمي عاش قبل ألف وأربعمائة سنة، فهل من حديث النفس للنفس أن ينزل الله سبحانه وتعالى وصفاً دقيقاً لمراحل نمو الجنين لم تهتد إلى مثل دقته البشرية بكل ما أوتيت من أنواع المعارف إلا في القرن التاسع عشر؟

إن خزعبلات المستشرقين قد سبقهم إليها المشركون قبل أربعة عشر قرنا من الزمان، ورموا الرسول علي الصلاة والسلام بالجنون وأنه شاعر أو كاهن ثم ما لبث بعضهم أن آمن به وصدقه، وعزره ونصره، وقد تصدى علماء أجلاء ـجزاهم الله خيرا- للرد عليهم بما يشفي الغليل[4]، ولله الحمد والمنة.

---

(١) سورة الدخان: الآية ٣.

(٢) سورة القدر: الآية :١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

(٤) ينظر: مباحث في علوم القرآن/ مناع القطان/ ص٤٠-٤٩.

المحور الرابع: دور أم المؤمنين خديجة بنت خويلد –رضي الله عنها- آن نزول الوحي:

خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، تكنى أم هند، وهي أول زوجة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت تدعى في الجاهلية الطاهرة، أمها فاطمة بنت زائدة بن جندب، وهو الأصم بن صخر بن عبد معيص بن عامر بن لؤي، وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي، وكانت خديجة قبل أن ينكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عتيق بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، فولدت له هند بن عتيق، ثم خلف عليها بعد عتيق أبو هالة مالك بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي من بني أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار بن قصي، فولدت له هند بن أبي هالة، وهالة بن أبي هالة، فهند بن عتيق وهند وهالة ابنا أبي هالة ثلاثتهم إخوة لأولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة بنو أمهم(١).

كانت لخديجة منزلة خاصة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت عاقلة، جليلة، دينة، مصونة، كريمة.

فقد كانت له ردءا وعونا، وحصنا يعتصم به من عوادي الدهر، يستلهم منها الأمن عند الخوف، ويستمد منها القوة عند الضعف، ويجد فيها السكينة عند القلق والإضطراب، صدقته حين كذبه الناس، وآمنت به حين كفر به الناس، وأغنته بمالها، وغمرته بإخلاصها و ملأت نفسه عزما وقوة و ملأت قلبه طمأنينة ورضى، وملأت حياته هدوءا وسكينة، فاندفع في طريقه الشاق يقاوم أعداء الحق ويجاهد أنصار

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة / ابن حجر العسقلاني/ دار الفكر بيروت/ ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م/م٤/ ص٢٨١.

الباطل، ويكشف ظلمات الكفر والطغيان، حتى ظهر نور الحق، وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجا(١).

وقد سبق حديث أم المؤمنين عائشة -رضي الله تعالى عنها- ودور السيد خديجة واضحة فيه.

فقد اختارها الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعلها حكيمة ومنّ عليها بالخصال التي يستأنس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند بدء الوحي، فلما حدث ما حدث فأول ما نطقت به: كلا والله لا يخزيك الله أبدا، يا لها من عبارة تؤمن الخائف، وتقوى الضعيف، إنها الثقة بالله تعالى؛ لأنها خلقت لتكون زوجة الرجل الذي سيأتيه أعظم الأمور، و ما زالت حتى أزالت ما به من الغم، و قالت إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة(٢).

ضربت الطاهرة أم المؤمنين خديجة في الصبر مثلا في حياة النساء، فعندما نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته بشيرا ونذيرا ودعا قومه ليخرجهم من الظلمات إلى النور، كذبوه وخذلوه في دعوته، كانت الطاهرة الصابرة بإيجابيتها بالمرصاد لهذا الخذلان، وتفعل جاهدة لتخفف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً. ثم جاءت المحنة الشديدة والمقاطعة الكاملة لبنى هاشم والتي استمرت ثلاث سنين(٣)، ووقفت الطاهرة المؤمنة إلى جانب زوجها رسول الله

---

(١) أمهات المؤمنين وبنات الرسول صلى الله عليه وسلم/ وداد سكاكيني/ دار الفكر دمشق سورية/ ط٢/ ١٩٨٦م/ ص٢٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: أمهات المؤمنين/ محمد فتحي مسعد/ دار التوزيع والنشر الإسلامية/ ط١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م/ ص٢١ وما بعدها.

(٣) ينظر: أمهات المؤمنين/ محمد فتحي مسعد/المرجع السابق/ ص ٢٣. و: أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد (المثل الأعلى لنساء العالمين)/ إبراهيم محمد حسن الجمل/ دار الفضيلة/ القاهرة/ د.ط/ ص ١٢٥.

صلى الله عليه وسلم، تنصره وتشد أزره، وتعينه على احتمال أقسى ضروب الأذى والاضطهاد سنين عددا فلما قضى على بني هاشم، وعبد المطلب أن يخرجوا من مكة لانذين بشعب أبى طالب، بعد أن أعلنت قريش عليهم حربا مدنية لا ترحم، وسجلت مقاطعتهم لهم في صحيفة علقت في جوف الكعبة، ولم تتردد خديجة رضي الله عنها في الخروج مع زوجها، وهكذا تخلت عن دارها الحبيبة، مغنى صباها ومجمع هواها ومثابة ذكرياتها، وقامت تتبع زوجها ونبيها وقد علت بها السن وناءت بها أثقال الشيخوخة، وأقامت هنالك في شعب أبى طالب ثلاث سنين، صابرة مع زوجها النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحبه وقومه على عنت الحصار المنهك وجبروت الوثنية العاتية العمياء.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصّالحات، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله وأنبيائه محمد بن عبد الله، الذي ضحّى بحياته الغالية والثمينة من أجل هداية الأمة إلى سواء الصراط، وعلى آله الأطهار، وصحابته الغرّ الميامين، ومن اهتدى بهديهم واستنّ بسنّتهم إلى الدين.

أمّا بعد:

فقد توصلت في نهاية هذا البحث المتواضع إلى نتائج من أهمها:

[١] إنّ مبحث نزول الوحي من أهمّ مباحث علوم القرآن الكريم؛ لأن العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن نفسه، وأنه كلام الله، وأساس للتصديق بنبوة الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم وأن الإسلام حق.

[٢] إن أصل كلمة "الوحي" في الأسلوب العربي، يدلّ على: الخفاء، والسرعة، والإشارة، ولها استعمالات كثيرة في القرآن الكريم.

[٣] إنه يمكن اختيار تعريف الوحي القائل: "أن يُعلِمَ الله تعالى مَن اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية، غير معتادة للبشر".

[٤] أن للعلماء رأيين – تقريبا - في مسألة التنزلات، رأي يميل إلى أنها تنزّلان، والآخر يقول: ثلاثة تنزلات، وهو –والله أعلم- الأقرب إلى الصواب، التنزل الأول للقرآن كان إلى اللوح المحفوظ، والتنزل الثاني كان إلى بيت العزّة في السماء الدنيا، والتنزل الثالث تمثل في نزول جبريل به عليه السلام على قلب رسول الله -ﷺ-، كما يدل على ذلك لفظ التنزيل دون الإنزال، لأن الأول يراد به النزول على سبيل التدرج والتنجيم فالتنزيل لما نزل مفرقا والإنزال أعم.

[٥] إن للوحي مراتب وصوراً وأقساماً، وصل بها بعض العلماء إلى ثمانية.

[٦] نزل جبريل عليه السلام بالوحي وهو على كيفيات وأحوال مختلفة، وفي كل الأحوال كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يعي ويُلِمُّ بكلّ ما يتلى عليه.

[٧] إن خديجة أم المؤمنين، من فضلاء النساء، وكان لها دور كبير في نصرة الإسلام والرسول عليه الصلاة والسلام.

قائمة المصادر والمراجع:

۞.القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

[١] الإتقان في علوم القرآن/ دار الكتب العلمية- بيروت لبنان/ ط٢/ ١٤١١هـ-١٩٩١م/ ج١.

[٢] الإصابة في تمييز الصحابة/ ابن حجر العسقلاني/ دار الفكر بيروت/ ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م/م٤/ ص٢٨١.

[٣] أمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد (المثل الأعلى لنساء العالمين)/ إبراهيم محمد حسن الجمل/ دار الفضيلة/ القاهرة/ د.ط.

[٤] أمهات المؤمنين وبنات الرسول صلى الله عليه وسلم/ وداد سكاكيني/ دار الفكر دمشق سورية/ ط٢/ ١٩٨٦م.

[٥] أمهات المؤمنين/ محمد فتحي مسعد/ دار التوزيع والنشر الإسلامية/ ط١/ ١٤٢١هـ-٢٠٠١م/ ص٢١.

[٦] أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ البيضاوي/ دار الفكر- بيروت/ ج٥/ ص١٣٧، وتفسير القرآن العظيم/ إسماعيل ابن كثير/ دار المعرفة- بيروت-لبنان/ ط٦/ ١٤١٣هـ-١٩٩٣م/ ج٤.

[٧] تاج العروس من جواهر القاموس/ مرتضى الزبيدي/ تح: علي شيري/ دار الفكر- بيروت- لبنان/ د.ط/ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م/ م٢٠/ مادة "وحى".

[٨] الجامع الصحيح سنن الترمذي/ محمد بن عيسى الترمذي/ موقع وزارة الأوقاف المصرية/ ج١١. الشاملة.

[٩] الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان/ محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي/ تح: سالم مصطفى البدري/ دار الكتب العلمية- بيروت لبنان/ ط ١/ ١٤٢٠-٢٠٠٠م/ م٨/ ج١٦.

[١٠] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ محمود الألوسي البغدادي/ دار إحياء التراث العربي/ ط١/ ١٤٢٠ه-٢٠٠٠م/ ج٢٥.

[١١] زاد المعاد في هدي خير العباد/ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي/ تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخر/ مؤسسة الرسالة –بيروت/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م/ ج١.

[١٢] سنن الترمذي، الجامع الصحيح/ محمد بن عيسى الترمذي/ تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون/ دار إحياء التراث العربي –بيروت/ د.ط/ د.ت/ باب: كيف كان ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم/ ج٥.

[١٣] السنن الكبرى/ أحمد بن شعيب النسائي/ تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البداري/ دار الكتب العلمية-بيروت/ ط١/ ١٤١١هـ-١٩٩١م.

[١٤] شعب الإيمان/ البيهقي/ تحقيق: محمد السعيد بسيوي زغلول/ دار الكتب العلمية- بيروت/ ط١/ ١٤١٠/ ج٢.
[١٥] صبحي صالح/ مباحث في علوم القرآن/ دار العلم للملايين/ ط٢٠/ ١٩٩٧م.
[١٦] صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري/ تحقيق د. مصطفى ديب البغا / دار ابن كثير –اليمامة، بيروت/ ط٣/ ٤٠٧هـ- ١٩٨٧م/ ج١١.
[١٧] صحيح البخاري/ محمد بن إسماعيل البخاري/ دار الفكر/ د.ط/ ١٤٠١هـ- ١٩٨١م/ م١.
[١٨] الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية/ د. ساسي الحاج/ مركز دراسات العالم الإسلامي/ ط١/ ١٩٩١م.
[١٩] الظاهرة القرآنية/ مالك بن نبي/ تحقيق: عبد الصبور شاهين/ الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية/ ط٣/ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
[٢٠] علوم القرآن والتفسير/ عبد الله شحاته/ دار الاعتصام / القاهرة/ ط٢/ ١٩٨٣م.
[٢١] فتح الباري شرح صحيح البخاري/ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني/ كتاب الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم/ دار المعرفة/ ج١.
[٢٢] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل/ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي/ دار الكتاب العربي –بيروت لبنان/ ط٣/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م/ ج٤.
[٢٣] لسان العرب/ ابن منظور/ دار صادر- بيروت/ م١٥/ فصل الواو/ مادة "وحي".
[٢٤] محمد إبراهيم الخفاوي/ دراسات في القرآن الكريم/ دار الحديث القاهرة.
[٢٥] محمد عبد الله الزركشي/ البرهان في علوم القرآن/ تحقيق: أبو الفضل إبراهيم/ منشورات المكتبة العصرية/ صيدا بيروت.

[٢٦] المصباح المنير/ احمد بن محمد بن علي الفيومي المقري/ طبعة بلونين ميسرة/ مكتبة لبنان.
[٢٧] مناع القطان/ مباحث في علوم القرآن/ مؤسسة الرسالة/ ط٢١/ ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.
[٢٨] مناهل العرفان في علوم القرآن/ محمد عبد العظيم الزرقاني/ دار إحياء الكتب العربية/ د.ط/ د.ت/ د.د/ج١/ ص٥٦.
[٢٩] المنطق/ محمد رضا/ منشورات إسماعيليان/ ط٢٠/ ١٩٨٤م/ ج١.
[٣٠] النبأ العظيم/ د. محمد عبد الله دراز/ دار القلم كويت/ ط٥/ ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م/ ص٧٠.